

# تونسي وأفتخر!

إليزابيث إيستر وهدي شلشول وكارول لاليف

الطباخين المتطوعين خيمة، واتجهوا إلى إعداد الوجبات للمقيمين في المخيم، حيث وفروا وجبات مطهية للمخيم تكفيه لأسبوعين، باستخدام المون التي قدمها لهم المواطنين المحليون. ثم بدأت اللجنة الدولية للصليب الأحمر في تمويلهم، وهكذا أنشئ المطبخ الرئيسي لمخيم شوشة الذي قدم من ٢٣٠٠٠ إلى ٢٨٠٠٠ وجبة يوميا.

وفي ولاية تطاوين الواقعة في أقصى جنوب تونس، رحب التونسيون بحوالي ٨٠٠٠٠ لبيبي في منازلهم، مما نجم عنه صعوبات مالية جسيمة تكبدوها مع تزايد نفقات فواتير المرافق العامة. وعندما عرض موظفو المفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين المساعدة على الأسر التونسية لتغطية نفقات المياه والغاز والكهرباء الخاصة بهم، اعتبرها الكثيرون إهانة، قائلين: "نحن لا ننتظر التعويض". ثم تعاقدت المفوضية العليا مع شركات المرافق التونسية لتقديم الإعانات بصورة مباشرة.

لم يكن كرم التونسيين الجارف بناءً على توجيهات أو تعليمات عالية المستوى، ذلك لأن الأشخاص تصرفوا ببساطة ولم يستجيبوا بخوف وإنما بتعاطف.

إليزابيث إيستر [eyster@unhcr.org](mailto:eyster@unhcr.org) هي نائب ممثل، وهدي شلشول [chalchou@unhcr.org](mailto:chalchou@unhcr.org) هي مساعد المسؤول القانوني، وكارول لاليف [laleve@unhcr.org](mailto:laleve@unhcr.org) هي مسؤول التقارير لدى مكتب المفوضية العليا للأمم المتحدة في تونس.

أقيم مخيم شوشة الطارئ في رأس جدير، على بُعد 7 كم من الحدود التونسية الليبية لإيواء الفارين من ليبيا. واعتباراً من يونيو/حزيران 2012، لا يزال المخيم مستضيفاً لأقل من 3000 لاجئ في انتظار حل دائم.

لقد جاءت الحرب الأهلية التي اندلعت في ليبيا العام الماضي العالم بأسره على حين غرة، فلم يكن أحد مستعداً، وتونس كانت أقل الجيران استعداداً، نظراً لانشغالها في ثورتها. وبحلول ٢٧ فبراير/شباط، كان أكثر من ١٠٠٠٠ شخص يعبرون الحدود بين تونس وليبيا كل يوم. واستجابت تونس بفتح حدودها مع ليبيا، وحشد التونسيون من جميع أنحاء البلاد الدعم لآلاف الأجانب القادمين إلى منطقتهم الجغرافية في ظروف صعبة للغاية.

ووجد التونسيون الذين رغبوا في المساعدة في جهود الإغاثة كافة السبل للقيام بذلك، حيث تراوحت هذه السبل من الشركات المقدمة لكميات كبيرة من الحليب إلى امرأة مسنة كانت تنتقل عبر الحافلات لإحضار الطعام المطهي منزلياً للاجئين. وأخذ الموظفون العاملون في إحدى شركات النقل على عاتقهم حشد أسطول من المركبات لنقل الأشخاص القادمين من ليبيا إلى الملاجئ وإلى مطار جربة وإلى المناطق الأخرى في تونس. كذلك، انتشرت الملاجئ الليلية في المدارس والمراكز الترفيهية والفنادق.

وهذا أحد الأطباء الذي قطع مئات الكيلومترات لتقديم خدماته. وعندما اكتشف أن سياسة الهلال الأحمر التونسي تنص على عدم استيعاب المتطوعين الجدد وغير المدربين في حين أن عملية الاستجابة الإنسانية جارية، لم يقبل بذلك عائقاً يمنعه من الاستمرار. فما كان منه إلا أن قدم منحة شخصية لجهود الإغاثة وبدأ العمل في جمع القمامة التي خلفتها الأعداد الغفيرة للأشخاص المارين.

ولمتطوع الهلال الأحمر "حافظ" ذكريات حية حول أحد الطهاة التونسيين الذين قدموا إلى مخيم شوشة الطارئ. هذا الطاهي أحضر خبزاً وأرزاً أعدهما مسبقاً، مخططاً لقضاء يوم واحد فقط في شوشة. وأوضح حافظ بقوله: "لكنني تأثرت بمنظر الآلاف من الأشخاص المرهقين والمصدومين والجوعى، مما جعلني أعود في اليوم التالي مع أصدقائي". وأكمل حافظ: "أنشأت هذه المجموعة من